العرب
السبت 2020/02/08
السنة 42 العدد 11611

إيران وسياسة الكذب المطلق

فاروق يوسف
كاتب عراقي

حين تعبر إيران عن رغبتها في تسوية خلافاتها مع المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة لا أعتقد أنها ستكون قادرة على كشف خبايا وأسرار عدائها لشعبي ونظامي الدولتين اللتين لم يُعرف عنهما أنهما قد ناصبتا إيران العداء في الماضي.

وإذا ما كانت الدولتان قد تعاملتا مع السلوك الإيراني بكثير من الحكمة والصبر فإنهما كانتا في الوقت نفسه حازمتين دائما إذا ما تعلق الأمر بسيادة دول الخليج وشؤونها الداخلية وهو ما لم تكن إيران قادرة على تفهمه لا بسبب عنجهية حكامها وهو مرض قديم حسب بل وأيضا بسبب انفصال نظامها عن العصر.

فمنذ أربعين سنة، وهو عمر الجمهورية الإسلامية، لا تكف إيران عن استعمال لغة طائفية، هي ليست واحدة من لغات العصر بل هي من بقايا عصور غابرة في التعامل مع دول المنطقة باعتبارها اللغة الوحيدة الممكنة التي تجيد استعمالها. وهي عن طريق تلك اللغة تسعى إلى التدخل في شؤون مجتمعات لا تفهمها ولا تمت لها بأي صلة.

كانت تلك اللغة تجسيدا لروح الوصاية التي اعتقد النظام الإيراني أنها جزء من بنيته المصيرية وأن وجوده لا معنى له من غيرها. فهي من وجهة نظره تكليف مطلق ليس على الآخرين سوى الخضوع له.

ذلك ما يعني أن أي دولة ترغب في الحوار مع نظام الملالي ما عليها سوى أن تهيء نفسها للقبول بلغة مجانين تقع خارج أصول العقل والمنطق وليست لها علاقة بتقنيات السياسة الممكنة أو المحتملة.

لذلك فشلت كل المحاولات السابقة لدفع النظام الإيراني إلى تفهم المحيط الإقليمي وشروط العلاقة بين الدول. لا لأنه لا يعترف بالدول في سياق وضعها السياسي الحديث بل لأنه لا يتصرف انطلاقا من كون إيران دولة يجب عليها احترام القانون الذي يخضع له الجميع.

إيران التي رفعت شعار تصدير ثورتها هي في حقيقتها ليست دولة مسالمة. إنها دولة حرب. وهي في سياق ذلك تعرف ماذا تريد؟ دولة لا تحيا من غير حرب. ولكن النظام الإيراني لا يمكنه أن يعترف بحقيقة ما يريد. ذلك اعتراف فائض عن الحاجة. يكفي أن نلقي نظرة سريعة على المناطق التي نجح النظام الإيراني في الهيمنة عليها حتى نرى ونلمس حقيقة ما تفكر فيه إيران على مستوى مستقبل المنطقة.

لقد أفلس لبنان ودخل العراق في نفق متاهة مظلمة يبدو الخروج منها أشبه بالمعجزة. كل ذلك حدث بعد أن وقع البلدان تحت الوصاية الإيرانية.

لذلك يمكن القول إن خلاف إيران مع السعودية والإمارات يكمن في أن الدولتين لم تسمحا لها بالتدخل في شؤونهما واتخذتا مواقف حازمة لحماية شعبيهما في مواجهة سموم الدعاية الإيرانية.

إيران التي تزعم اليوم بأنها تسعى إلى تحسين علاقاتها مع السعودية والإمارات لا يمكنها في أي حال أن تضع أسباب خلافها على الطاولة. فهي أصلا لا ترغب في مفاوضات تقوم على أساس عقلاني يستند إلى لغة القانون الدولي. في كل ما تقوله إيران هناك نوع من السخرية من الحقيقة. فلو استحضرنا مواقف إيران في مواجهة حدث جلل مثل إسقاط الطائرة الأوكرانية سنكون على بينة من طريقة التفكير الإيرانية القائمة على مبدأ المناورة والرهانات المتعددة التي تنطوي على الكثير من الكذب.

لقد كذب محمد جواد ظريف، وزير خارجية النظام كثيرا أثناء المفاوضات التي سبقت الاتفاق النووي. كان يكذب في كل اتجاه من أجل أن يُخفي الحقيقة.

ولأن الظاهرة الإيرانية فريدة من نوعها في عصرنا من جهة ما تنطوي عليه من عدوانية مغلفة بطابع ديني فإن التعامل مع مزاعم النظام الإيراني بإيجابية لن يؤدي إلى نتائج يمكن أن تعود بالنفع على السلم والأمن العالميين.

هل تتحول إدلب إلى غزة جديدة

براق تويغان
كاتب تركي

وقف الجيشان التركي والسوري، للمرة الأولى منذ اندلاع الحرب هناك، قبل ثماني سنوات، في مواجهة حامية ضد بعضهما البعض، فقد الجيش التركي، على إثرها، وفقا للأرقام الرسمية المعلنة، خمسة من جنوده وثلاثة مدنيين، وفقد الطرف الآخر ستة من جنوده.

وشهدت إدلب تطورات متلاحقة مؤخرا، عقب اللقاء الذي عُقِد في موسكو في 13 يناير، بوساطة روسية، بين رئيس جهاز الاستخبارات التركي هاكان فيدان، ونظيره السوري علي مملوك.

وفي رد فعل مباشر على التقدم السريع لقوات النظام السوري، بدأت تركيا بإرسال وحدات مدرعة باتجاه الحدود، ووصل إلى إدلب حتى الاثنين الماضي، وفق ما رواه شهود عيان، ما لا يقل عن 20 دبابة وعربة مصفحة.

بالتزامن مع ذلك أعلن أن تركيا بصدد بناء نقطة مراقبة جديدة بالقرب من سراقب، وأنها تعزز من تدابيرها الأمنية في تلك المنطقة. ومع هذا، لا يمكن التيقن إن كانت التحركات التركية الأخيرة ستكون رادعة بشكل كاف لتحركات قوات النظام السوري أم لا.

قامت تركيا، خلال العام الماضي، بإمداد الجماعات التابعة لها بالسلاح في مواجهة قوات النظام السوري للحيلولة دون سقوط مدينة خان شيخون، الواقعة إلى الجنوب من إدلب، في أيدي هذه القوات، ولكن هذا لم يمنع تقدمها أيضا.

لا نعلم إن كانت لدى أردوغان، الذي عاود هجومه الحاد على روسيا ونظام الأسد خطة (ب) بخصوص إدلب أم لا. وفي رأيي، إن البديل الوحيد الذي يمكن أن يلجأ إليه أردوغان هو أن يسعى لمقابلة بوتين ويطلب منه بطريقة أو بأخرى أن تُوقِف قوات النظام السوري تقدمها. ولتحقيق ذلك، يجب على أردوغان أن يقدم، في المقابل، تنازلات وأن يبدي استعداده للالتزام بما تعهد به.

لا شك أن تقدم قوات النظام السوري ينخر بشدة في هيكل الصداقة "القسرية"، التي أقامها أردوغان مع بوتين في الوقت الذي ينظر فيه الأول إلى بوتين باعتباره نوعا من الضمانة للحفاظ على مقعده في السلطة.

والواقع أن العلاقات التركية الروسية تمر الآن بحالة تدهور في جميع الاتجاهات، من ليبيا إلى شرق المتوسط، ومن بحر إيجة إلى سوريا، أو بتعبير أكثر دقة، إن التطورات المقبلة قد تحمل سيناريو كارثيا بالنسبة لأردوغان.

وفي رأيي، إن أردوغان لا يملك أي ورقة رابحة حقيقية يمكنه أن يضغط بها على بوتين. والسؤال الآن: كيف نفسر موافقة بوتين على مهاجمة الجنود الأتراك في سوريا؟

● السيناريو الأول: أرسلت تركيا قوات إلى إدلب دون أن تخطر روسيا بذلك؛ وبالتالي أرادت روسيا أن تبعث برسالة إلى أردوغان عن طريق النظام السوري، الذي لم يكن ليهجم على القوات التركية دون إذن مسبق من روسيا، مفادها "أن خيوط اللعبة في إدلب لا تزال في يدي وحدي".

● السيناريو الثاني: توجه أردوغان، بعد ساعات قليلة من إرساله آليات عسكرية إلى إدلب، إلى أوكرانيا في زيارة لمدة يوم واحد في محاولة منه لاستغلال ورقة شبه جزيرة القرم للضغط على روسيا.

● السيناريو الثالث: لم يعد لدى أردوغان المزيد من التنازلات، أو الضمانات، التي يمكن أن يقدمها إلى روسيا.

● السيناريو الرابع: عدم وجود تنسيق تركي روسي في ليبيا، واستمرار أردوغان في إرسال قوات وأسلحة لدعم حكومة طرابلس.

● السيناريو الخامس: معاقبة تركيا، التي عجزت عن التصدي لهجمات إدلب، ولم تلتزم بما قطعته على نفسها من تعهدات.

جميع السيناريوهات السابقة تصلح لأن تكون سببا أو مبررا للهجمات التي تعرضت لها القوات التركية، ومع هذا قد لا يكون السبب الحقيقي بينها أيضا. على أي حال، الأمر المؤكد هو أن العلاقة بين أردوغان وبوتين في إدلب صارت عند مفترق طرق حقيقي.

ومن المتوقع، في حال نجاح قوات النظام السوري في اجتياز العقبة التي وضعتها القوات التركية في طريقها إلى سراقب، أن تتمكن من تطهير المنطقة الواقعة على الطريق السريع حتى حلب من قوات المعارضة بشكل أسرع نظرا لعدم وجود بلدات أو مدن في هذه المنطقة يمكن أن تعيق تقدمها.

ومن المتوقع أن تتوجه قوات النظام السوري، بعد تأمين الطريق السريع، صوب المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية من إدلب؛ حيث يوجد الطريق السريع، الذي يمتد بين حلب واللاذقية.

وستتمكن قوات النظام السوري، إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق جديد بين تركيا وروسيا من تطهير هذه المناطق في وقت قصير.

ويبدو أن الهدف الأساسي لروسيا والنظام السوري هو تأمين الطرق المؤدية إلى حلب؛ لأن تأمين هذه الطرق يعني انتزاع ما يقرب من نصف محافظة إدلب من أيدي قوات المعارضة.

والواقع، أن دخول منطقة يقطنها ما لا يقل عن أربعة ملايين شخص أمر صعب للغاية، ومن الممكن أن يؤدي إلى كارثة إنسانية كبيرة. وبالمثل، فإن عدم تمكن الميليشيات المسلحة المتمركزة في هذه المنطقة، والتي يقدر عددها بأربعين ألفا على الأقل، من الفرار إلى تركيا، سيضطرها إلى البقاء على الأراضي السورية في شكل خلايا نائمة، وهذا مبعث تهديد كبير آخر.

ولهذا السبب، قد يُترك لتركيا أمر إدارة هذه المنطقة، بشكل يشبه النظام المطبق في قطاع غزة، طالما كان وجودها لا يشكل تهديدا مباشرا للنظام السوري ولروسيا. وفي رأيي، إن هذا السيناريو سيحظى بقبول النظام السوري وأردوغان للأسباب التالية:

● منع إقامة "دولة كردية" في شمال سوريا، كما أن وجود إدلب على هذا النحو، سيمثل عقبة أمام الأكراد للانفتاح على البحر المتوسط.

● سيحد هذا السيناريو من تدخلات أردوغان بشكل أكبر في الأراضي السورية.

● سيجد أردوغان مجالا آخر لعودة اللاجئين الذين يحاول طردهم من تركيا في الوقت الحالي.

● ستتخلص روسيا والنظام السوري من عدد كبير من السكان السنة.

● ستصبح تركيا هي المتنفس الوحيد لهذه المنطقة وبوابتها إلى العالم، تماما كما هو الحال بالنسبة لمصر وقطاع غزة، وسيكون الدخول والخروج من إدلب إلى سوريا تحت سيطرة تركيا.

● سيتمكن النظام السوري من إحكام سيطرته على المناطق الأخرى من البلاد بشكل أكبر بعد أن تتولى تركيا أمر الجماعات والعناصر التي تشكل تهديدا له.

● سيكون بمقدور النظام السوري شن هجمات، وقت ما يشاء، على بعض الأهداف داخل إدلب لوقف أي نشاط للمعارضة والعناصر الإرهابية، بشكل مشابه لما تفعله إسرائيل في قطاع غزة.

وفي حقيقة الأمر، إذا نظرنا إلى بنود اتفاق سوتشي، سندرك أن الغرض منها كان، في الأساس، إنشاء غزة جديدة على الأراضي السورية؛ ومن ثم يمكن القول إن روسيا والنظام السوري يحاولان الآن فرض هذا الأمر بالقوة بعد أن عجزت تركيا عن الوفاء بتعهداتها، أو لنقل بسبب عدم رغبتها في ذلك.

على أي حال، ستعطينا التطورات، التي ستشهدها سراقب في الفترة المقبلة، مؤشرا مهما عن مدى استجابة أردوغان لهذا المشروع، وإن كان سيقبل بالواقع الجديد بعد فترة أم لا.

بريطانيا.. الإرهاب المسجون

بهاء العوام
صحافي سوري

خلال شهرين، شهدت لندن عمليتين إرهابيتين نفذهما سجينان إرهابيان أطلق سراحهما قبل انقضاء عقوبتهما، بموجب قانون الإفراج المبكر الذي أقرته حكومة عمالية مطلع الألفية الجديدة. عبر هذا القانون أطلق سراح سبعين سجينا خطيرا، ونجح اثنان منهما بمغافلة المراقبة الأمنية وقتل وجرح مدنيين أبرياء لا ناقة لهم ولا جمل بكل ما جرى مع الإرهابيين في السجون وخارجها.

مئتان وأربعون إرهابيا مسجونا ينتظرون أن يشملهم الإفراج المبكر هذا، إضافة إلى السبعين الذين يخضعون لمراقبة باتت مكثفة جدا بعد الحادثتين اللتين نفذتا بذات الطريقة. الإرهابي يطعن مارة بسكين وهو يلف نفسه بحزام ناسف مزيف، يضطر رجال الشرطة إلى قتله خوفاً من تفجير نفسه. بالإضافة إلى قاسم مشترك آخر بين الهجومين، وهو تبنيهما من قبل داعش فور إعلان الشرطة عن الفاعل.

دفعت الحادثتان بالحكومة البريطانية، برئاسة بوريس جونسون، إلى وضع قانون جديد لمكافحة الإرهاب يلغي الإفراج المبكر عن السجناء الإرهابيين قبل انقضاء ثلثي المدة، وبشروط يحددها مجلس متخصص في هذا الشأن. كما يشترط القانون أن يمضي الأشخاص المدانون بارتكاب جرائم خطيرة، مثل الإعداد لأعمال إرهابية أو قيادة منظمة إرهابية، مدة عقوبة لا تقل عن أربعة عشر عاما في السجن.

القانون الجديد ينتظر فقط موافقة البرلمان، ولا يتوقع رفضه لسببين، أولا لأنه يجد قبولا شعبيا كبيرا لدى البريطانيين، والثاني لأن الحزب الحاكم يمتلك أكثرية نيابية كافية في مجلس العموم لتمريره. يمكن أن يصبح القانون نافذا في بضعة أسابيع، ولعله يمنع الإفراج المبكر عن أشخاص يستعدون لعمليات إرهابية مشابهة.

بعيدا عن المنع كفعل يندرج في إطار الوقاية خير من العلاج، يبدو أن القوانين الجديدة لمعاقبة السجناء الإرهابيين لا تؤمن كثيرا بفكرة التوبة أو الإصلاح. يبدو أنها تؤمن فقط بأن الإرهاب داء لا دواء له، ولا يُشفى منه الإنسان مع مرور الوقت أو عبر برامج إعادة التأهيل. لوجهة النظر هذه ما يبررها، وقد عاد منفذا العمليتين الإرهابيتين الأخيرتين إلى ممارسة الإرهاب بعد أشهر من إطلاق سراحهما المبكر، والمشروط بالخوض في برنامج إعادة تأهيل للاندماج في الحياة العامة مجددا.

الإرهابي عثمان خان، الذي نفذ عمليته قرب جسر لندن، في شهر نوفمبر الماضي استهدف المشرفين عليه في برنامج إعادة التأهيل. أما سوديش أمان، الذي أفرج عنه الشهر الماضي، فهو لم يحتمل فكرة الحرية لمدة أسبوع واحد فقط، ونفذ عمليته الإرهابية سعيا وراء "الشهادة" كبوابة للجنة. وقبل أن يخوض في رحلته بعث إلى إخوته رسائل يدعوهم فيها إلى ذات الجهاد وذات الجنة المأمولة.

لا أدري كيف يمكن أن تقنع الإرهابيين بأن هذا الفهم للجنة خاطئ ويسيء للإسلام. ربما يكون هذا السبيل الوحيد لمعالجة الإرهاب إن كان مشكلة مكتسبة ولا تتعلق بالجينات كما يعتقد البعض في لندن. لا نتحدث هنا عن اعتقاد أفراد عاديين وإنما مختصين يديرون برامج لمكافحة التطرف في البلاد. هم يقولون إن الإرهاب مرض عضال لا يمكن الشفاء منه. ويؤكدون أن الأطباء النفسيين يحتاجون إلى العشرات من الجلسات مع الإرهابيين كي يفهموا آلية تفكيرهم ومدى تمسكهم بالتطرف.

يبدو أن القوانين الجديدة لمعاقبة السجناء الإرهابيين لا تؤمن كثيرا بفكرة التوبة أو الإصلاح. يبدو أنها تؤمن فقط بأن الإرهاب داء لا دواء له، ولا يشفى منه الإنسان مع مرور الوقت أو عبر برامج التأهيل

ما يعزز هذا الاعتقاد هو وجود هؤلاء الذين يتطرفون لوحدهم كما يصفهم الإعلام المحلي. من وجهة نظر أمنية هم أكثر خطرا من الذين يأتمرون بأوامر داعش أو غيره من المنظمات الإرهابية. ليس لشيء وإنما لأنه تصعب متابعتهم أو توقع سلوكهم. هم يبحثون بمفردهم عن الأفكار المتطرفة في كل مكان. وعندما تتبلور هذه الأفكار في رؤوسهم يخرجون إلى العالم بعمليات إجرامية مفاجئة. ووفقا لمختصين نفسيين كلما عانى هؤلاء من مشاكل ذهنية كلما زادت قابليتهم للتطرف والإرهاب.

يبدو الأمر معقدا، وقد أدركت بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية حجم تعقيده، منذ أن بدأ المئات من الشباب والمراهقين المسلمين في هذه الدول بالذهاب إلى الدولة المزعومة لداعش. ولدوا وترعرعوا وسط ثقافة منفتحة وتعلموا في المدارس الغربية. وعندما ظهر أبوبكر البغدادي على منبر جامع النوري في مدينة الموصل العراقية، شدوا الرحال إلى "دولة الخلافة الإسلامية" التي يمر منها الطريق إلى الجنة.

هذا التعقيد من أبرز الأسباب التي تجعل الدول الغربية ترفض عودة دواعشها الأسرى في سوريا والعراق وتركيا. لا ضمانات بأن يعود أولئك إلى رشدهم، ويتراجعوا عن إرهابهم. إن كان الذين يعتقلون في السجون الأوروبية ينتظرون بفارغ الصبر حتى تحين ساعة الإفراج عنهم كي ينفذوا عمليات إرهابية يذهبون عبرها إلى الجنة، فما الذي يمنع المحررين من سجون تلك الدول من تنفيذ مثل هذه العمليات.

لا شك أن الحادثتين الأخيرتين في لندن فجرتا عصاب الخوف من الإرهاب القابع في السجون البريطانية. ربما تبدد العقوبات الصارمة في قانون مكافحة الإرهاب الجديد، خطر الإرهابيين المعتقلين. ولكنها لن تردع من يتبنون التطرف طوعا وبملء إرادتهم. هؤلاء يؤمنون بأن الطريق إلى الموت هو "الطريق إلى الجنة" وهو أقصر بكثير من الرحلة إلى السجن، لذلك يواجهون رجال الشرطة بما يدفعهم لقتلهم فوراً ودون تردد.

بالنسبة إلى الحالمين بالجنة عبر دماء "الكفار" لا يحتاج الأمر إلا لسكين وحزام ناسف مزيف. بضع دقائق وتصبح بين "الحوريات والأماكن الخلابة". الوصفة بسيطة جدا وطالما أن هناك من يؤمن بها فلن ينتهي مسلسل الإرهاب حول العالم. لا تعرف الحكومة البريطانية من يستطيع إبطال مفعول هذه الوصفة، لذلك قررت استخدام وصفة مضادة بسيطة هي الأخرى. إن لم تفلح بالذهاب إلى الجنة على أيدي الشرطة فستعيش في السجن متحسراً على الحياة الدنيا لعقود طويلة أو إلى الأبد.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk